



شغلت قضية اتفاق كفريا والفوعة أو ما بات يعرف بـ "اتفاق المدن الخمسة" الرأي العام الثوري والشعبي في سوريا خلال الأيام الماضية، حيث تم الاتفاق - حسب مصادر - بين هيئة تحرير الشام وفاوضين إيرانيين في العاصمة القطرية الدوحة على إجلاء كافة أهالي بلدتي كفريا والفوعة الشعبيتين بريف إدلب، بالإضافة إلى أهالي مضايا والزبداني وبلودان بريف دمشق.

الاتفاق حصل بعد سلسلة لقاءات بين ممثلي عن الجانب الإيراني مع ممثلي عن هيئة تحرير الشام برعاية قطرية. وينص الاتفاق على وقف إطلاق النار لمدة 9 أشهر بحيث يدخل حيز التنفيذ في منتصف ليلة الأربعاء 29-3-2017، ويشمل بلدتي الفوعة وكفريا الشعبيتين ومدن وبلدات تفتاز وبنش وطعوم وبروما وزرданا وشلح ومعرة مصرین ورام حمدان بالإضافة إلى مدينة إدلب، إلى جانب مدينة الزبداني وبلدتي مضايا وبقين بريف دمشق الشمالي الغربي، وأحياء يلدا وببيلا وبيت سحم جنوب دمشق.

ويتضمن الاتفاق أيضاً إخراج أهالي الزبداني ومضايا إلى أي مكان يتم تحديده. نيسان القادم، مقابل إدخال المساعدات الإنسانية إلى المناطق المذكورة، على أن يتم إطلاق سراح 1500 أسير من سجون

النظام (معظمهم من النساء)، وذلك في المرحلة الثانية من الاتفاق.

الاتفاق ليس ولد اللحظة، وإنما هو امتداد لاتفاق الهدنة الذي أبرمه جيش الفتح مع ممثلي إيرانيين في أيلول/ سبتمبر 2015، وبالرغم من خطورة هذا الاتفاق وتوقيته وأبعاده وإشارات الاستفهام التي تحوم حوله، إلا أن طريقة التوصل لاتفاق من قبل "هيئة تحرير الشام" والتكتم الشديد الذي رافق مراحله من قبلها، قوبل باستياء شديد من قبل الناشطين والوسط الشعبي والشخصيات الثورية.

فمنذ بدأت الثورة مسلحة وحتى توقيع الاتفاق، كان مجرد الحديث عن مفاوضات مع العدو (أياً كان الدافع والهدف) محظياً وممنوعاً وخيانة و "بيعاً لدماء الشهداء وتضحياتهم" وفق قاموس "هيئة تحرير الشام" أو "جبهة النصرة" على وجه الخصوص. ولطالما هاجمت فصائل الجيش الحر واستولت على مقراتهم وطاردتهم بهذه الحجج والأسباب، حتى إنها انتقدت الثوار حينما خرجوا من حلب واتهمتهم بشكل "غير مباشر" بتسليم المدينة والتفریط بها. أما المشاركون في المفاوضات السياسية سواءً الأستانة أو جنيف فحدث ولا حرج.

ويبن ليلة وضحاها أصبح حرام الأمس حلال اليوم، وأضحت المفاوضات مقيدة بالفسدة والمصلحة ويعذرها المفاوضون أنفسهم، بينما كانت سابقاً خيانة بالمجمل ولا اعتبارات مقبولة لأصحابها، أيًّا تكن دوافعهم.

أسئلة كثيرة طرحت على ألسنة الناشطين والشعب عموماً: ماذا لو كان الموقع على الاتفاق ليس جيش الفتح وإنما أحد فصائل الجيش الحر؟ لكننا رأينا لهم الردة والتخوين والعمالة، ولتسابقت معرفات الجيش الإلكتروني لإسقاط صاحب المفاوضات والاتفاقيات...!!

ألم يكن التفاوض في أستانة ردة تستوجب الاستئصال؟ أما التفاوض مع الإيراني فهو إيمان وتوحيد؟!

الشيخ عبد الرزاق المهدي وهو من أحد المشايخ الكبار الذين انضموا إلى هيئة تحرير الشام ثم انشق عنها لاحقاً، انتقد تكتم الهيئة عن تفاصيل الاتفاق وعدم الإعلان عنه، حيث قال: (يكفي اتفاق كفريا والفوهة شرًّا أنه ليس أحد من شارك في صياغته يجرؤ على أن يخرج للناس على العلن ليحدثهم عن دوافع هذا الخيار، وثمن قبوله، وما هي الاستعدادات لتحمل تبعاته على الشمال المحرر ...؟)، وفي الحديث يقول -صلى الله عليه وسلم: (إثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس).

كما انتقد الشيخ علي الشحود الفكرة ذاتها قائلاً:

بداية نحن مع أي هدنة تقلل من معاناة الناس وتخفف الحصار عنهم وتبعد عنهم شبح الموت...
لكن بشرط أن تكون علنية ومن قبل فعاليات الثورة وليس من قبل فصيل واحد منهم يدعى أنه وصي على الثورة والثوار.....
لذلك نقول بعض الملاحظات عليها:

1. لقد فوجئ الشعب السوري بأن هناك اتفاقاً سورياً تم في قطر بين هيئة تحرير الشام وبين أطراف أخرى برعاية قطرية لإخراج أهل كفريا والفوعة سالمين غانمين إلى حضن الوطن !!

2. بينما ينص الاتفاق على تفريغ غرب دمشق وجنوبها من أهل السنة !!

3. كيف تقول هيئة تحرير الشام عن أي اتفاق يقوم به غيرها مهما كان نافعاً بأنه خيانة وعمالة وبيع للثورة بينما إذا قامت هي به يعتبر فتحاً عظيماً يسطر بأحرف من ذهب ؟؟؟؟

4. الكيل بمكيالين ليس من صفات المؤمنين الصادقين.

5. ما أدرّاكم أن في هذا الاتفاق خيرا لنا ولثورتنا؟

7. وهل فيه تبييض لصفحة هيئة تحرير الشام لكي يرفع اسمها من قائمة الإرهاب الدولية؟

8. وهل هذا العمل سيبيض صفحتهم الداخلية مع الفصائل التي بغوا عليها ونهبوا سلاحها وذخيرتها بحجة أنها حضرت مؤتمرا دوليا لحل مشكلتنا؟

نصيحة أخيرة لهم
9. وهل سيسامحهم الناس على نهب خيراتهم وسجن واعتقال أولادهم وذويهم.؟؟

ردوا المظالم إلى أهلها وأخرجوا المساجين وتعاملوا مع الناس بالحسنى والرفق والرحمة .
وعودوا لأهداف الثورة الأولى وخلصوا من البغاء والغلاة.. عندها يمكن أن يسامحكم الناس.)
أما الباحث أحمد أبازيد فقد حذر من خطر الاتفاق وتبعاته قائلاً:

- 1- خروج كفرياً والفوهة كرهينة من أيدي المجاهدين يعطي الفرصة للعدو بأن ينتقم من إدلب بوحشية ومن دون أن يحسب أي حساب.. فالحذر الحذر!.
- 2- تعليقات على اتفاق الفوهة الأخير، ما بين أحرار الشام وتحرير الشام من جهة، وحزب الله وإيران من جهة مقابلة برعائية قطر.
- 3- كتبت قبل عن الخطاب كوسيلة لمصلحة الجماعة لدى الحركات الجهادية، وأنه لا يمثل الأيديولوجية أو الاستراتيجية الحقيقة، وجبهة النصرة كمثال.
- 4- كان العمل السياسي والمفاوضات والهدن مناطات ردة وأسباباً كافية لقتال الفصائل وتخوين الأشخاص، ثم استماتت تحرير الشام لخوض كل ذلك بسفف أقل.
- 5- عكس اتفاق الفوهة، الهدن التي وقعتها وفق قوى الثورة أكدت عدم استثناء أي منطقة أو فصيل وقام بالتفاوض أشخاص معروفون للسوريين وبأجندة معلنة.
- 6- بما أن تحرير الشام حريصة على الاعتراف ونيل هامش سياسي، فالآخر أن تحرص على قبول الشعب والثوار وهذا لا يمكن دون اعتذار وصدق وتغيير حقيقي.
- 7- يستميت الجولاني بإثبات مرونته وتغيره للغرب لنيل اعتراف، بينما هيئته على الأرض بسلوك القاعدة وداعش نفسه ضد الفصائل، أشداء ورحماء على من؟.
- 8- تحرير الشام نجحت بتحويل كل الأطراف الداخلية في الثورة إلى أعداء ومهديين، وغربياً فالتصنيف قائم، السفر بالطيران وتوقيع اتفاق لن يلغى ذلك.
- 9- قصف التحالف الدولي لسيارة "أبو جابر الحموي" في الوقت نفسه من مفاوضات تحرير الشام، رسالة واضحة بأن هذا الهاشم الوظيفي لن يلغى التصنيف.
- 10- لم يعد مقبولاً الشك في براغماتية ووظيفية خطاب تحرير الشام ومزايداتها تجاه الآخر ثم ممارستها نفسها بعد تقييد الآخرين بها (= أحرار الشام).
- 11- ونعم "الساحة لا تحتمل" حقاً استمرار هذا المسلسل وعيث ذات الأشخاص والمجموعات المجرية والمشبوهة بمصير الثورة والسوريين.

فيما علق الشيخ ماهر علوش على الاتفاق بقوله:

(تأثر بعض الفضلاء من وصفنا للاتفاق بأنه سيء، وتساءل آخر من أين أتاه السوء... والجواب: أنه كان بالإمكان تحصيل اتفاق أفضل من هذا الاتفاق بكثير لو لا تعطيل بعض الفصائل له قبل مدة، حيث تم عرقلة الاتفاق لأسباب تتعلق بالثبات على الموقف آنذاك... واللافت للنظر أن الفصائل عندما جلست لإبرام هذا الاتفاق استطاعت إنجازه بسرعة كبيرة، فلا أدرى أكان ذلك نتيجة الثبات على الموقف أم أنه العكس تماما...).

إن ما تقوم به بعض الفصائل من حديث العهد بالعمل السياسي والتفاوض قبل بلوغها سن الرشد، ودون إشراك الخبراء في مفاوضاتهم سوف يدفع ثمنه الشعب كله... وقد سبق لبعض الفصائل الدخول بـ "مفاوضات تجريبية" بعد أن تعلمت بعض فنون السياسة ومهارات التفاوض من خلال بعض الدورات العلمية... لكن الغريب في الأمر أن البعض الآخر بدأ

"المفاوضات التجريبية" دون الدخول بأي دورة في فنون السياسة ومهارات التفاوض...

الfccs عقدت اتفاقا غير متكافئ أبدا مع العدو - والأرقام تتحدث -، والذى يفترض أنها جلست لتفاوضه وقد أشعلت الجبهات على طول البلاد وعرضها، وما يدعو للغرابة ماذا لو كان التفاوض بعيدا عن تلك المعارك الضارية، كيف ستكون النتائج إليها الأبطال... عندما كانت الجبهات هادئة وكانت المناطق المحاصرة في أصعب لحظاتها كان سقف التفاوض لدى البعض مرتفعا جدا، وعندما اشتعلت الجبهات انخفض السقف بشكل يثير الاشمئاز...

بمقارنة عاجلة فقد أثبتت المؤسسات السياسية في الثورة السورية أنها تقوم بدور أكثر إيجابية على مستوى التفاوض، بالرغم من الخلل البنيوي الذي تعاني منه تلك المؤسسات، وعلى ما فيها من الأخطاء والسلبيات... وهذا يحتم على الشرفاء إعادة النظر في طبيعة العلاقة أو التعامل مع هذه المؤسسات التي لا تخرج عن كونها مؤسسات وطنية... لقد بات لزاما على الثورة إنهاء حالة الشتات السياسي، وحسم قنوات التفاوض مع الأعداء من خلال الاجتماع على مؤسسة ثورية واحدة...

أما هذا الاتفاق فإنه يفتقر إلى المهنية، ويتعامل مع الواقع والمتغيرات التي طرأت على الثورة خلال العام الأخير بمنتهى السطحية، ما جعل الوفد المفاوض يغفل عن مدى إمكانية إلزام بقية حلفاء النظام ببنود هذا الاتفاق... وقد أثبتت الاتفاques السابقة مع الإيرانيين أن الروس لا يلتزمون بها أبدا، بل قاموا بخرق اتفاق المدن الأربع سابقا، فهل تم تحصيل ضمانات روسية الآن، أم أنها مقامرة جديدة تخوضها الفصائل...

الاتفاق القائم على فكرة مقايضة المدن والسكان يكرس مبدأ التغيير الديمغرافي من خلال رضا الأطراف الموقعة عليه - والكلام هنا على المستوى القانوني -، وهذا بحد ذاته يعتبر خطأ جسيما ترتكبه فصائل الثورة، حيث ساهمت بشكل أو بآخر في شرعنة هذه الجريمة عبر عقد اتفاق رضائي موقع بين الطرفين، وهذا بلا شك يختلف عن حالات التهجير القسري التي يقوم بها النظام وحلفاؤه لأهلانا في المناطق المحاصرة...

بالنظر إلى واقع المنطقة وطبيعة المرحلة المرتقبة فهناك احتمال كبير أن يتم نقض الاتفاق بعد إخراج الجرحى والمصابين وأكثر المدنيين، بحيث تحول كتلة الفوعة وكفرريا إلى كتلة مقاتلة شرسة في حال تم هجوم روسيا وحلفائها على الشمال السوري، والذي يرجح أن يكون قريبا، ومن المحتمل أن يكون على عدة جبهات في وقت واحد، والهدف كسب جبهة واحدة فقط، وربما محور محدد في إحدى هذه الجبهات...

كان أحد أبرز الاعتراضات على اتفاques آخرى مشابهة قامت بها فصائل الثورة السورية أن الضامن غير قادر على فعل شيء فيما لو تم الإخلال ببنود الاتفاق، والسؤال الآن: كيف يستطيع الأشقاء في قطر ضمان النظام وحلفائه من الروس والإيرانيين والميليشيات الطائفية الأخرى، وماذا بوسعهم أن يفعلوا فيما لو أخل الطرف الآخر بالاتفاق فعلا...

جاء هذا الاتفاق الهزيل بعد خروج أهلانا من حي الوعر المحاصر، والفصائل التي عقدت الاتفاق كانت على علم مسبق بكل ما يدور ويحاك لهذا الحي، وهي على علم مسبق باقتراب موعد مناقشة اتفاق المدن الأربع، ومع ذلك لم تفعل شيئا يذكر لأجل إدخال الحي في سلة المفاوضات، بل إن البعض عرقل عملية دخول الحي في المفاوضات بحجج واهية، وكانت النتيجة تسارع سقوط الحي بيد الروس، وعندما تم الضغط لإدخال الحي في التفاوض مجددا كان الحي في آخر اهتماماتهم...

لن أتكلم بأكثر من هذا، لكن ما يؤسفني حقا بعد مرور ست سنوات من عمر الثورة أن يستمر التعامل مع بلدنا بمفهوم "الشركة" أو "المزرعة"... وإن كان بعض الرأسماليين أفضل من بعض، وبعض الإقطاعيين أرحم من بعض...

وأما المشايخ الذين يفصلون الفتاوى على قياس قادتهم فهؤلاء لا نسمع لهم صوتا إلا في قضايا "الاندماج"، أما آلام هذا الشعب والمصائب التي تجرها عليه فصائلهم فليست ضمن أدبيات دعوتهم التي أمليت عليهم...).

كما انتقد د. أيمان هاروش سياسة الكيل بمكيالين التي تنتهجها هيئة تحرير الشام في موضوع المفاوضات، حيث قال:

- 1-المفاوضات مع إيران في الدوحة أمر مشروع بأصله وكما دعمنا كل حراك سياسي ندعم هذا أيضاً ضمن الثوابت والضوابط التي قلناها، ولكن لنا ملاحظات على هذه.
- 2-استبيحت فصائل وخونت بأقل من هذا فالواجب إعادة الحقوق المادية والمعنوية لمن أسيء إليها وترك أسلوب المزاودات التي وقع المزاودون بكل ما أنكروه.
- 3-نستغرب سكوت المعرفات وشيوخ المطويات والدورات، والذين نالوا من غيرهم بأقل منها أو مثلها وإن كانوا تراجعوا فليعتذروا لمن أساؤوا إليهم.
- 4-من حق الآخرين أن يقولوا فيكم ما قيل فيهم من تغلب سياسي وخيانة للشهداء وخضوع للداعم وتسليم للمدن ومن فوضكم عن الشعب لكن هذا ليس من أخلاقهم
- 5- ستقارن نتائج مفاوضاتكم وليس سراً بغيرها وسترونكم ظلتم أنساناً سبقوكم في الجهاد والسياسية وكم جرتم على الشعب مأسى بسبب مراهقاتكم وعذركم.
- 6-نحن هنا لا نحرم ولا نخون ولكن نشير إلى نتائج سياسية التخوين والتکفير والإلحاد الرأي حكم الله، ونشير إلى منهج التلون الملازم لمنهج المزاودات.
- 7- ونشير إلى سياسية بعض القنوات والمعرفات والشخصيات التي ترى رمذان الجيش الحر وتشرعن لقطع عينه ولا ترى عور المناهجة وتدعوا لتفبيل رأسهم).

واستغرب **أحمد عيسى** **الشيخ قائد صقور الشام** قيام الهيئة بفعل كانت تنكره على غيرها من الفصائل، فقال:

- 1-عندما تحضر المزاودات تكثر الخيانات وعندما يسلم المراهقون المقدور لهم يهتمون بالمرکوب ولا يلتفتون إلى الطريق أصحيح فيصلون أم خاطئ فيصلون.
- 2-في الاتفاق الأخير "للفوعة مقابل الزيداني" رأينا أن ما عابت الهيئة على الفصائل بعضه فقد فعلته كله "أتآمرن الناس بالبر وتنسون أنفسكم".
- 3-الفصائل التي حرصت ألا تستثنى فصيلاً ولا بقعة مما تراه خيراً، كان جزاؤها ألا تستثنها الهيئة من حملة التکفير والتخوين والبغى والصيال.
- 4-والى يوم نرى حصاد الهدنة التي قال قائلهم يوماً أنها نصر تاريخي مؤزر، والحال أن الأذن بالاذنين والعين مقابل عينين وأحياء وقرى من عندنا زيادة.
- 5-ولا نحرم ما أحل الله من هدنة، وإنما الطريقة المبتذلة في احتكارها وإنكارها فيحرمونها على غيرهم ويحلونها لأنفسهم ويتوسعون بها ما لا تسع.
- 6-لو أرادت الفصائل الخيانة لما تفاوضت مع روسيا تحت مرأى ومسمع ومشهد !، ولو أرادت الهيئة الخير لما تفاوضت مع إيران في الظل، وما وراء الكواليس.

7- ورحم الله من قال:

أمن يعوم بنهر الإثم ينهري

إذا تناولت منه غرفة بيدي !!

إن كان في عنقي خيط سيخنقني

فإن في جيده حبلاً من المسد !).

أما الكاتب والباحث مجاهد ديرانية فقد كتب عن الاتفاق:

لم يبقَ قريبٌ ولا بعيدٌ ولا صديقٌ إلا وأيَّقَنَ أنَّ إدلب مُقبلةً على مَحرقةٍ كبيرةٍ سترويُّ أخبارَها كتبُ التاريخ، وأنَّ تصدرَ جبهة النصرة وتصدِّرها وصبُّ الشَّمال بالسواد سيكون مبدأً الحرير، وأنَّ هذه السنة هي سنة قلع الزرع الذي زرعته القاعدة في سوريا والعراق، داعش والنصرة، وأنَّ النصرة وحلفاءها لا طاقة لهم بالصمود في سوريا أكثر مما صمدت داعش في العراق، وأنَّ الفوهة وكفرياً هما الورقة الأخيرة التي تملكها الثورة للمساومة والضغط فراراً من المصير المحتموم، وأنَّ بقاء عشرات الآلاف من سكان البلدين رهائنَ تحت نيرانِ الثوار سيُعوق مشروعَ الحريق المُسْئوم، ولو إلى حين.

إذا كان ذلك كله مما عرفه الناس وعرفته جبهة النصرة وعرفته سائر الفصائل، فلماذا أصرَّت جبهة النصرة (في إصداراتها القديم وإصداراتها الجديد) على تفكيك الفصائل وتشريد الثوار وابتلاع الثورة وصبُّ الشَّمال بالسواد؟ ولماذا رضيت الفصائل بأنْ تُساق ويساق معها الشَّمال المحرر بما فيه ومن فيه إلى المحرقة؟ ولماذا فرطوا بالورقة الأخيرة التي لو تشبّثوا بها ورفعوها أمام النار لَوَقَتْ وجوهَهم لفَحَ النار؟ ولماذا تفاوضوا مع العدو في الظلام؟ لماذا سلَّكوا طريق التفاوض والتنازل والتفرير الذي عابوه - قبلُ - وخوْنوا سالكيه؟

اليوم خرستَ أَلْسُنَةً طالما تسابقت للمشاغبة والمزايدة على أهل الثورة والترويج لمشاريع الغلاء، وإذا نطقَتْ قريباً فلن تفعل سوى ما فعله علماءُ السلاطين على مَرِّ الزمان: تسويغُ الجريمة وتسويقُها باسم الدين، فإنَّ دينَ القوم يسعُ أكبرَ الكبائر إذا كانوا هم أصحابها، وبضيقِ بأصغرِ الصِّفَّاتِ إذا كان أصحابها غيرهم من الناس.

عوضنا على الله في ثورة ساقها في طريق الضياع "مستقلون" باعوا ضمائرهم للهوى والسلطان والشيطان، ثورة عظيمة سطا عليها الغلة بالحديد والنار، ثم باعواها بأبخس الأثمان في سبيل مطامع وأهواء شخصية، أو خدمةً لمشاريع الوهم والسراب.

وعلى الناشط براء عبد الرحمن من الغوطة الشرقية على الاتفاق قائلًا:

هل تذكرون اتفاق راهبات معلولا... قيل لفك أسرى المسلمين دون أي مقابل لكنها كانت بالحقيقة اتفاقاً قطرياً لبنيانياً مع النصرة لفك طليقة البغدادي ونيل 20 مليون دولار فلم تخرج المسلمين الأسيرات وكان الاتفاق بين أروقة الكواليس بالخلف، والآن نفس السيناريyo؛ شتان شتان بين من يفاوضون أمام الكاميرات ويصرح للصحفيين والفضائيات وينسحب لعدم تهجير شعبه وبين يفاوضون سراً وخيفة لتهجير المسلمين السنة باتفاق ومصالح إيرانية ثم يزاود علينا ويقول ماجئنا إلا لنصرتكم، بل ما جئتم إلا لبيعنا في سوق النخاسة، شُلتُ ألسن المزاودين.

آراء متنوعة وانتقادات كثيرة تشير بالمجمل إلى أنَّ الشعب السوري والوسط الثوري عموماً أصبحَ على درجة من الوعي بحيث لم تعد تنطلي عليه حيل المزاودات والاستغفال وفرد العضلات، كما أثبتت أنَّ الفصيل مهما بلغ من القوى العسكرية إلا أنه سيسقط سقوطاً مدوياً بمجرد أن يغلب مصلحته على مصلحة الشعب ويسلك خطأً مغايراً لخطه.